إسهامات المفسِّرين في التَّقدُّم الحضاريّ
(دراسة في تفسير المنار)

أ.د.طه سبتي إبراهيم
مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد
Taha.sebti@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

تاريخ النشر : ٢٠٢٣/٦/٣٠
تاريخ الاستلام : ٢٠٢٣/١/٣ تاريخ القبول : ٢٠٢٣/٣/١٦
DOI: 10.54721/jrashc.20.2.955

الملخص :
مِن المفسرين الذين أسهموا إسهامًا كبيرًا في بيان القواعد الأساسية للحضارات عمومًا وللحضارة الإسلامية خصوصًا الشيخ محمَّد رشيد رضا في تفسيره المسمّى(تفسير القرآن الحكيم) المشهور بـ(المنار)؛ فالذي يقرأ التفسير يلحظ أنَّه قد عُني ببيان الجوانب الحضارية من جهة الأسس والمنهج وعوامل الهدم والفتك وطرق تجنّبها.
وتظهر الفائدة من البحث أنَّه يكشف النِّقاب عن الجهود العلمية التفسيرية لأحد أعلام النهضة الحديثة الذي قدّم في تفسيره معالم النَّهضة الحضارية التي تجعل الأمَّة الإسلامية تستعيد مجدها وعزَّها، وذلك باستنطاق النُّصوص القرآنية المباركة بلا تكلُّف ولا تعسُّف.
منهجية البحث: يتألَّف البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، والمباحث هي:
المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث، وهو مبحث تمهيدي، عرَّفت فيه التَّقدُّم، والحضارة، وشيئًا من حياة الشيخ محمَّد رشيد رضا.
المبحث الثاني: الإتِّفاق وعدم التَّفرُّق.
المبحث الثالث: الإنتخاب والشُّورى.
المبحث الرابع: الإجتماع والعمران.
الكلمات المفتاحية: التَّقدُّم، الحضارة، الإنتخاب.

The Contributions of Interpreters to the Civilizational Progress (A Study on the Interpretation of Al-Manar.

Prof. Dr. Taha Sabti Ibrahim.
University of Baghdad / Center for the Revival of the Arab Scientific Heritage

Abstract:

Among the commentators who contributed greatly to explaining the basic rules of civilizations in general and Islamic civilization in particular, Sheikh Muhammad Rashid Rida in his interpretation called (Interpretation of the Wise Qur'an), known as (Al-Manar); Whoever reads the tafsir will notice that it was concerned with explaining the civilized aspects in terms of foundations, methodology, factors of demolition and destruction, and ways to avoid them.

The benefit of the research is that it reveals the explanatory scientific efforts of one of the figures of the modern renaissance, who presented in his interpretation the features of the civilizational renaissance that make the Islamic nation regain its glory and honor, by examining the blessed Quranic texts without cost or arbitrariness.

Research methodology: The research consists of an introduction, four topics and a conclusion. The topics are:

The first topic: defining the vocabulary of the research, which is an introductory topic, in which I defined progress, civilization, and something from the life of Sheikh Muhammad Rashid Rida.

The second topic: meeting and not dispersing.

The third topic: election and Shura.

The fourth topic: socialization and urbanization.

Key words: progress, civilization, election.

المقدِّمة :

شغل الجانب الحضاري مساحة كبيرة في كتب التفسير؛ لاسيَّما التفاسير الحديثة، إذ قام كثير من المفسرين المعاصرين باستنطاق النّص القرآني المبارك واستخراج ما فيه من الأَحكام والحِكم، ذلك أنَّ القرآن الكريم هو الركيزة الأولى والقاعدة الكبرى التي يُنطَلَق منها لبيان الرؤية القرآنية الواضحة نحو القضايا والمستجدات التي تعصف بالأمَّة، وقد أشار القرآن العظيم في كثير من الآيات إلى المعالم الحضارية للأمم السَّابقة والقواعد العامة التي بُنيت عليها، ونبَّه على العوامل والأسباب التي من شأنها أن تفتك بالحضارات وتصيرها خرابًا ودمارًا بعد أن كانت قويةً ظاهرةً.

ومِن هؤلاء المفسرين الذين أسهموا إسهامًا كبيرًا في بيان القواعد الأساسية للحضارات عمومًا وللحضارة الإسلامية خصوصًا الشيخ محمَّد رشيد رضا في تفسيره المسمّى(تفسير القرآن الحكيم) المشهور بـ(المنار)؛ فالذي يقرأ التفسير يلحظ أنَّه قد عُني ببيان الجوانب الحضارية من جهة الأسس والمنهج وعوامل الهدم والفتك وطرق تجنبها.

أهمية البحث :

تبرز فائدة البحث أنَّه يكشف النِّقاب عن الجهود العلمية التفسيرية لأحد أعلام النَّهضة الحديثة الذي قدّم في تفسيره معالم النَّهضة الحضارية التي تجعل الأمَّة الإسلامية تستعيد مجدها وعزَّها، وذلك باستنطاق النُّصوص القرآنية المباركة بلا تكلُّف ولا تعسُّف.

موضوع البحث :

يكمن موضوع البحث في بيان بعض المرتكزات التي تقوم عليها الحضارة في القرآن الكريم، ومَن يقرأ تفسير المنار تظهر أمامه هذه المرتكزات جليًا؛ فالشيخ كان حاملًا هَمَّ أُمّته، واعيًا لواقعها الذي تخلَّف عن الحضارات الأخرى؛ فكان فكره منصبًّا على بيان أسس الحضارة في القرآن العظيم؛ فالموضوع ينحصر بتقديم رؤية تفسيرية لأبرز القواعد التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية.

أهداف البحث:

- الإسهام في تجاوز مرحلة التردّي الحضاري التي تمرُّ بها الأمّة الإسلامية ،لا سيَّما العربية منها، كي تستعيد مكانتها بين الأمم.

- إبراز جهد عَلَمٍ من أعلام الأمّة، كان قد فَطِنَ- قبل قرن من الزمان- إلى ما نحن فيه من تراجع في الميادين كافةً، ففقه واقع الأمّة فأرشد إلى طرق بناء الحضارة وشخّص مواطن الضَّعف، وبيّن طرق علاجها وإعادتها إلى قوَّتها ومجدها.

منهجية البحث: قُسِّم البحث على مقدِّمة، وأربعة مباحث،هي:

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث، وهو مبحث تمهيدي، عرَّفت فيه التقدُّم، والحضارة، وشيئًا من حياة الشيخ محمَّد رشيد رضا.

المبحث الثاني: الإتِّفاق وعدم التَّفرُّق.

المبحث الثالث: الإنتخاب والشُّورى.

المبحث الرابع: الإجتماع والعمران.

ثمَّ الخاتمة التي ذكرت فيها نتائج البحث.

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث

المطلب الأول: التعريف بالتَّقدُّم الحضاري

أولًا: تعريف التقدم

١-التقدّم لغةً

التَّقدُّم مصدر الفعل تَقَدَّم؛ وهو خلاف التأخر، والمُتقدِّم اسم فاعل نقيض الآخِر والمُتأخِر[١]، قال الرَّاغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ):((أصل السَّبْقِ: التّقدّم في السّير، نحو:﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبقا﴾[٢]، والِاسْتِبَاقُ: التَّسَابُقُ، قال:﴿..إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ﴾[٣]..،ثم يُتَجوَّز به في غيره من التّقدّم، قال:﴿..ما سَبَقُونا إِلَيْهِ..﴾[٤]،﴿..سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ..﴾[٥]، أي: نفدت وتقدّمت، ويستعار السَّبْقُ لإحراز الفضل والتّبريز، وعلى ذلك:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[٦]، أي: المتقدّمون إلى ثواب الله وجنّته بالأعمال الصّالحة، نحو قوله:﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[٧] ، وكذا قوله:﴿.. وَهُم لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٨] ، وقوله:﴿وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[٩]،أي: لا يفوتوننا))[١٠].

فالدِّلالة اللغوية للتقدّم هي السَّبْق، وأن يكون الشيء أولًا، وأصل التقدّم أن يكون في السَّير ثمَّ استُعمل في غيره مجازًا.

٢- التَّقدُّم اصطلاحًا

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي كثيرًا، وقد عرَّف العلماء السَّبق بأنَّه التَّقدُّم[١١].

فالتَّقدُّم هو السَّبق، وأن يكون الشئ أولًا.

ثانيًا: التعريف بـ (الحضاري)

١ـ الحضارة لغةً

قال الجوهري(ت٣٩٣هـ):((حَضْرَةُ الرجل: قُربه وفِناؤه. والحَضْرُ: بلدٌ بإزاء مَسكَن. ويقال: كَلَّمته بَحَضْرَةِ فلانٍ وبِمَحْضَرٍ من فلان، أي بمشهدٍ منه. وحكى يعقوبُ: كلَّمته بَحَضرِ فلان، بالتحريك. والحَضَرُ أيضاً: خلاف البَدْو. والمَحْضَرُ: السِجِلُّ. والمحضر: المرجع إلى المياه))[١٢].

وجاء في (القاموس المحيط):((وعِيشُ أَهْلُ الْمُدُنِ فِي حَضَارَةٍ : تعني العَيشَ فِي تَمَدُّنٍ عَكْسَ البَدَاوَة، والحَضارَةُ: الإقامَةُ في الحَضَرِ))[١٣]

فالحضارة في اللغة تعني العيش والإقامة في الحضر(المدن).

٢-الحضارة اصطلاحًا

للحضارة تعريفات كثيرة؛ سأذكر ما يناسب موضوع البحث ومادته، فالحضارة هي:((الرُّقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي في الحضر.. وبعبارة أخرى أكثر شمولًا: هي الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافية، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية ..ولهذا كانت الحضارة هي :الخطة العريضة – كمًّا وكيفًا- التي يسير فيها تاريخ كلِّ أمَّة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة، والحضارات الحديثة والمعاصرة.. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات، من مرحلة إلى مرحلة))[١٤].

والمراد بـ (إسهامات المفسرين في التقدم الحضاري): جهود المفسرين في كلِّ ما له علاقة ببيان مزايا الحضارة الإسلامية وسبل تطورها وعوامل الهدم والفتك التي تهدِّدها، سواء أكانت هذه المزايا مادّية أم معنوية، وذلك عن طريق استنطاق النَّص القرآني الكريم واستخراج ما فيه من الأَحكام والحِكم.

المطلب الثاني: التعريف بالمفسِّر محمد رشيد رضا

ـ اسمه:

هو محمَّد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، الحسيني النسب.

ـمولده:

وُلد في القلمون(طرابلس/الشام) ١٢٨٢ه/١٨٦٥م.

- **حياته العلمية:**

تعلَّم في طرابلس، ومن ثَمَّ توجّه إلى مصر، فالتقى بالشيخ محمَّد عبده، وصحبه، ثم أقنعه بأن يلقي دروسًا في التفسير في الجامع الأزهر، وكان يسجل ما يلقيه ويقوله.

وكانت له نشاطات في الدعوة والإصلاح والتعليم، فأنشأ في القاهرة مدرسة الدعوة والإرشاد، وأصدر مجلة المنار، ثمَّ مطبعة المنار في القاهرة.

- **مؤلفاته وكتبه**

للشيخ مؤلفات كثيرة؛ منها:

– تفسير القرآن الحكيم الذي اشتهر بـ(تفسير المنار)،فكتب أول جزأيْن منه في حياة شيخه، الذي وصلت أجزاؤه إلى اثني عشر جزءًا متوقفًا عند قوله تعالى في سورة يوسف (الآية:٥٢).

ومن كتبه:

- تاريخ الأستاذ الإمام، الذي أرّخ فيه لحياة شيخه محمَّد عبده،
- الوحي المحمدي.
- نداء للجنس اللطيف.
- يُسر الإسلام وأصول التشريع العام.
- الخلافة.
- شبهات النصارى وحجج الإسلام.
- محاورات المصلح والمقلد.

-وفاته: تُوفي الشيخ في القاهرة سنة ١٣٥٤ه/١٩٣٥م[١٥].

المبحث الثاني: الإتِّفاق وعدم التَّفرُّق

إجتماع النَّاس وعدم تفرقهم مطلب إنساني وقيمة حضارية عليا، وهو من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، إذ أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على أهمية الإجتماع ونهى عن التفرق والتنازع؛ قال تعالى:﴿ وَٱعتَصِمُواْ بِحَبلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذكُرُواْ نِعمَتَ ٱللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَآءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِۦٓ إِخوَٰنًا وَكُنتُم عَلَىٰ شَفَا حُفرَة مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُم ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾[١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفشَلُواْ وَتَذهَبَ رِيحُكُم وَٱصبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١٧]

وقد سطَّر الشيخ محمّد رشيد رضا كلامًا نفيسًا في ذلك عند تفسيره آيتين كريمتين؛ هما:

الأولى: قوله تعالى:﴿ وَٱعتَصِمُواْ بِحَبلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذكُرُواْ نِعمَتَ ٱللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَآءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِۦٓ إِخوَٰنًا وَكُنتُم عَلَىٰ شَفَا حُفرَة مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُم ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ ، فقال:((فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا تَفَرَّقُوا بِاتِّبَاعِ السُّبُلِ غَيْرَ سَبِيلِ اللهِ الَّذِي هُوَ كِتَابُهُ. فَمِنْ تِلْكَ السُّبُلِ الْمُفَرِّقَةِ: إِحْدَاثُ الْمَذَاهِبِ وَالشِّيَعِ فِي الدِّينِ كَمَا قَالَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ..﴾[١٨] ، وَمِنْهَا عَصَبِيَّةُ الْجِنْسِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَهِيَ الَّتِي نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي نُفَسِّرُهَا وَمَا مَعَهَا فِيهَا، لِمَا كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مَا كَانَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَوَرَدَ فِي النَّهْيِ عَنْهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صِحَاحٌ وَحِسَانٌ كَقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ:((مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ)) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١٩] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[٢٠] مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ.

وَقَدِ اعْتَصَمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَهْلُ أُورُبَّا بِالْعَصَبِيَّةِ الْجِنْسِيَّةِ كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَسَرَى سُمُّ ذَلِكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ مُتَفَرْنِجَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَحَاوَلَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا فِي الْمُسْلِمِينَ جِنْسِيَّاتٍ وَطَنِيَّةً لِتَعَذُّرِ الْجِنْسِيَّةِ النَّسَبِيَّةِ، وَيُوجَدُ فِي مِصْرَ مَنْ يَدْعُو إِلَى هَذِهِ الْعَصَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ مُخَادِعِينَ لِلنَّاسِ بِأَنَّهُمْ بِذَلِكَ يَنْهَضُونَ بِالْوَطَنِ وَيُعْلُونَ شَأْنَهُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّ حَيَاةَ الْوَطَنِ وَارْتِقَاءَهُ بِاتِّحَادِ كُلِّ الْمُقِيمِينَ فِيهِ عَلَى إِحْيَائِهِ، لَا فِي تَفَرُّقِهِمْ وَوُقُوعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ وَلَا سِيَّمَا الْمُتَّحِدِينَ مِنْهُمْ فِي اللُّغَةِ وَالدِّينِ أَوْ أَحَدِهِمَا، فَإِنَّ هَذَا مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْخَرَابِ وَالدَّمَارِ، لَا مِنْ وَسَائِلِ التَّقَدُّمِ وَالْعُمْرَانِ، فَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُ بِاتِّحَادِ اتِّفَاقِ كُلِّ قَوْمٍ تَضُمُّهُمْ أَرْضٌ وَتَحْكُمُهُمُ الشَّرِيعَةُ عَلَى الْخَيْرِ وَالْمَصْلَحَةِ فِيهَا - وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَدْيَانُهُمْ وَأَجْنَاسُهُمْ - وَيَأْمُرُ مَعَ ذَلِكَ بِاتِّفَاقٍ أَوْسَعَ، وَهُوَ الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَقْوَامِ وَالْأَجْنَاسِ، لِتَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ الْأُخُوَّةُ فِي اللهِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالِاعْتِصَامِ وَالِاجْتِمَاعِ وَالنَّهْيِ عَنِ التَّفَرُّقِ:﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ يُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي عَصْرِ التَّنْزِيلِ مِنْ أُخُوَّةِ الْإِيمَانِ))[٢١].

فالشيخ يضع عن طريق تفسير الآية المبادئ الأساسية الراقية في دحض التفرُّق ويؤكد على المشتَركات التي تجمع البلد الواحد، بل الإنسانية جميعًا، وفي ذلك أثر كبير في تعزيز البناء الحضاري الذي يشكل الإنسان الركيزة الأولى في بنائه، كما بيّن الشيخ

أنّ التفرق يؤدّي إلى الخراب والدَّمار، وهذا الأمر هو الذي أصاب الأمَّة الإسلامية اليوم؛ فهي متفرّقة ضعيفة لا تملك زمام أمرها.

الثانية: وهي قوله تعالى:﴿وَلتَكُن مِّنكُم أُمَّة يَدعُونَ إِلَى ٱلخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلمُفلِحُونَ﴾[٢٢].

فقال:((قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - مَا مِثَالُهُ: إِنَّ اللهَ - تَعَالَى - قَدْ وَضَعَ لَنَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ قَاعِدَةً نَرْجِعُ إِلَيْهَا عِنْدَ تَفَرُّقِ الْأَهْوَاءِ وَاخْتِلَافِ الْآرَاءِ، وَهِيَ الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِهِ ؛ وَلِذَلِكَ نَهَانَا عَنِ التَّفَرُّقِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالِاعْتِصَامِ، الَّذِي قُلْنَا فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّهُ تَمْثِيلٌ لِجَمْعِ أَهْوَائِهِمْ وَضَبْطِ إِرَادَتِهِمْ. وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُسَلَّمَةِ: أَنَّهُ لَا تَقُومُ لِقَوْمٍ قَائِمَةٌ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُمْ جَامِعَةٌ تَضُمُّهُمْ وَوَحْدَةٌ تَجْمَعُهُمْ وَتَرْبِطُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ أُمَّةً حَيَّةً كَأَنَّهَا جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى رَوَاهُ أَحْمَدُ[٢٣]، وَمُسْلِمٌ[٢٤] مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ...، فَإِذَا كَانَتِ الْجَامِعَةُ الْمُوَحِّدَةُ لِلْأُمَّةِ هِيَ مَصْدَرُ حَيَاتِهَا - سَوَاءٌ أَكَانَتْ مُؤْمِنَةً أَمْ كَافِرَةً - فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِالْوَحْدَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ إِلَهًا وَاحِدًا يَرْجِعُونَ فِي جَمِيعِ شُئُونِهِمْ إِلَى حُكْمِهِ الَّذِي يَعْلُو جَمِيعُ الْأَهْوَاءِ، وَيَحُولُ دُونَ التَّفَرُّقِ وَالْخِلَافِ، بَلْ هَذَا هُوَ يَنْبُوعُ الْحَيَاةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لِمَا دُونَ الْأُمَمِ مِنَ الْجَمْعِيَّاتِ حَتَّى الْبُيُوتِ (الْعَائِلَاتِ) وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ جَامِعَةٍ وَكُلِّ وَحْدَةٍ حِفَاظٌ يَحْفَظُهَا أَرْشَدَنَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إِلَى مَا نَحْفَظُ بِهِ جَامِعَتَنَا الَّتِي هِيَ مَنَاطُ وَحْدَتِنَا - وَأَعْنِي بِهَا الِاعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ - فَقَالَ:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ حِفَاظُ الْجَامِعَةِ وَسِيَاجُ الْوَحْدَةِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: مِنْكُمْ هَلْ مَعْنَاهُ: بَعْضُكُمْ، أَمْ " مِنْ " بَيَانِيَّةٌ؟ ذَهَبَ مُفَسِّرُنَا (الْجَلَالُ) [٢٥] إِلَى الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فَرْضُ كِفَايَةٍ، وَسَبَقَهُ إِلَيْهِ الْكَشَّافُ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِالثَّانِي، قَالُوا: وَالْمَعْنَى: وَلْتَكُونُوا أُمَّةً تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَدِّ " لِيَكُنْ لِي مِنْكَ صَدِيقٌ " فَالْأَمْرُ عَامٌّ، وَيَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ وَٱلعَصرِ . إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لَفِي خُسرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَواْ بِٱلحَقِّ وَتَوَاصَواْ بِٱلصَّبرِ﴾[٢٦]، فَإِنَّ التَّوَاصِيَ هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَقَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ -:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبنِ مَريَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعتَدُونَ.كَانُواْ لَا يَتَنَاهَونَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ

لَبِئسَ مَا كَانُواْ يَفعَلُونَ ﴾[٢٧]، وَمَا قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ إِلَّا لِنَعْتَبِرَ بِهِ. وَقَدْ أَشَارَ الْمُفَسِّرُ (الْجَلَالُ) إِلَى الِاعْتِرَاضِ الَّذِي يَرِدُ عَلَى الْقَوْلِ بِالْعُمُومِ وَهُوَ أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيمَنْ يَأْمُرُ وَيَنْهَى أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَالْمُنْكَرِ الَّذِي يَنْهَى عَنْهُ، وَفِي النَّاسِ جَاهِلُونَ لَا يَعْرِفُونَ الْأَحْكَامَ، وَلَكِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْمَفْرُوضَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ خِطَابُ التَّنْزِيلِ هُوَ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَجْهَلُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِالْعِلْمِ وَالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، عَلَى أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ يُرَادُ بِهِ مَا عَرَفَتْهُ الْعُقُولُ وَالطِّبَاعُ السَّلِيمَةُ، وَالْمُنْكَرُ ضِدُّهُ وَهُوَ مَا أَنْكَرَتْهُ الْعُقُولُ وَالطِّبَاعُ السَّلِيمَةُ، وَلَا يَلْزَمُ لِمَعْرِفَةِ هَذَا قِرَاءَةُ حَاشِيَةِ ابْنِ عَابِدِينَ عَلَى الدُّرِّ، وَلَا فَتْحِ الْقَدِيرِ وَلَا الْمَبْسُوطِ، وَإِنَّمَا الْمُرْشِدُ إِلَيْهِ - مَعَ سَلَامَةِ الْفِطْرَةِ - كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ الْمَنْقُولَةُ بِالتَّوَاتُرِ وَالْعَمَلِ، وَهُوَ مَا لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُ، وَلَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا إِلَّا بِهِ، فَالَّذِينَ مَنَعُوا عُمُومَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ جَاهِلًا لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ دِينًا.

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَهَا مَرَاتِبُ، فَالْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: هِيَ دَعْوَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَائِرَ الْأُمَمِ إِلَى الْخَيْرِ وَأَنْ يُشَارِكُوهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ النُّورِ وَالْهُدَى، وَهُوَ الَّذِي يَتَّجِهُ بِهِ قَوْلُ الْمُفَسِّرِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْخَيْرِ: الْإِسْلَامُ. وَقَدْ فَسَّرْنَا الْإِسْلَامَ مِنْ قَبْلُ بِأَنَّهُ دِينُ اللهِ عَلَى لِسَانِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، وَهُوَ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ - تَعَالَى - وَالرُّجُوعُ عَنِ الْهَوَى إِلَى حُكْمِهِ، وَهَذَا مَطْلُوبٌ مِنَّا بِحُكْمِ جَعْلِنَا أُمَّةً وَسَطًا وَشُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ - وَخَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ - كَمَا سَيَأْتِي بَعْدَ آيَاتٍ مُقَيَّدًا بِكَوْنِنَا نَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ - وَبِحُكْمِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُم فِي ٱلأَرضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلمَعرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ ٱلمُنكَرِ..﴾[٢٨]، فَالْوَاجِبُ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلًا، فَإِنْ أَجَابُوا فَالْوَاجِبُ أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: وَأَمَّا كَوْنُ هَذَا حِفَاظًا لِلْوَحْدَةِ وَمَانِعًا مِنَ الْفُرْقَةِ فَهُوَ أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ الْعَالِي الشَّرِيفِ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ مُسَيْطِرَةً عَلَى الْأُمَمِ كُلِّهَا وَمُرَبِّيَةً لَهَا وَمُهَذِّبَةً لِنُفُوسِهَا فَلَا شَكَّ أَنَّ جَمِيعَ الْأَهْوَاءِ الشَّخْصِيَّةِ تَتَلَاشَى مِنْ بَيْنِهِمْ، فَإِذَا عَرَضَ الْحَسَدُ وَالْبَغْيُ لِأَحَدٍ مِنْ أَفْرَادِهِمْ

تَذَكَّرُوا وَظِيفَتَهُمُ الْعَالِيَةَ الشَّرِيفَةَ الَّتِي لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ وَالِاجْتِمَاعِ، فَأَزَالَتِ الذِّكْرَى مَا عَرَضَ، وَشَفَتِ النُّفُوسُ قَبْلَ تَمَكُّنِ الْمَرَضِ.

وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ فِي الدَّعْوَةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ: هِيَ دَعْوَةُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا إِلَى الْخَيْرِ وَتَآمُرُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهِيهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْعُمُومُ فِيهَا ظَاهِرٌ أَيْضًا، وَلَهُ طَرِيقَانِ، أَحَدُهُمَا: الدَّعْوَةُ الْعَامَّةُ الْكُلِّيَّةُ - قَالَ: كَهَذَا الدَّرْسِ - بِبَيَانِ طُرُقِ الْخَيْرِ وَتَطْبِيقِ ذَلِكَ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي النُّفُوسِ الَّتِي يَأْخُذُ كُلُّ سَامِعٍ مِنْهَا بِحَسَبِ حَالِهِ. وَإِنَّمَا يَقُومُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ خَوَاصُّ الْأُمَّةِ الْعَارِفُونَ بِأَسْرَارِ الْأَحْكَامِ وَحِكْمَةِ الدِّينِ وَفِقْهِهِ، وَهُمُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى -:﴿..فَلَولَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَة مِّنهُم طَآئِفَة لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَومَهُم إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ ﴾[٢٩]، وَمِنْ مَزَايَا هَؤُلَاءِ: تَطْبِيقُ أَحْكَامِ اللهِ - تَعَالَى - عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَهُمْ يَأْخُذُونَ مِنَ الْأَمْرِ الْعَامِّ بِالدَّعْوَةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَى مِقْدَارِ عِلْمِهِمْ.

وَالطَّرِيقُ الثَّانِي: الدَّعْوَةُ الْجُزْئِيَّةُ الْخَاصَّةُ، وَهِيَ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْأَفْرَادِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَيَسْتَوِي فِيهِ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ، وَهُوَ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَعَارِفِينَ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ عِنْدَ عُرُوضِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّرِّ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَأْخُذُ مِنَ الْفَرِيضَةِ الْعَامَّةِ بِقَدْرِهِ)) [٣٠].

فالشيخ نبَّه على أمور؛ أبرزها:

١- إنَّ الوحدة هي سر قوة المجتمعات، ولا تقوم قائمة لأي أمّة إلا بالاجتماع وعدم التفرّق.

٢- إنَّ المسلمين أولى بالوحدة من غيرهم؛ فإلههم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة، فكل هذه المشتركات وغيرها تجعل المؤمنين أجدر بالاتفاق وأولى بالإتّفاق من غيرهم.

٣- إنَّ أبرز مقوّمات الوحدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهما السياج الحصين والأساس المتين لاتّحاد المجتمع وتماسكه.

٤- إنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَهَا مَرَتبتان؛ هما:

الأولى: عامّة، وهي دعوة الأمّة الإسلامية جميعًا الأمم الأخرى إلى الإسلام.

الثانية: خاصّة بين المسلمين أنفسهم، ولهذه المرتبة طريقان:

الأول: الدعوة العامَّة الكلية، كبيان طرق الخير وإرشاد المؤمنين إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة وتطبيق الشريعة..، والذي يتولّى هذه المهمة العلماء العارفون بأحكام الدين ومقاصد الشريعة.

الثاني: الدعوة الخاصَّة الجزئية، وتكون بين الأفراد ، بعضهم مع بعض،وهي من التواصي بالحقّ والتواصي بالصبر.

المبحث الثالث: الإنتخاب والشورى

تعدّ الشورى من المعالم الدالة على رقي الأمم والمجتمعات، وهي من الأسس والقواعد التي تبني عليها الدول الحضارة والتقدم، وإنّ فقدان الشورى يعني سيادة الظلم والإستبداد، وقد بيّن الشيخ محمد رشيد رضا هذا المبدأ الأصيل عند تفسيره قوله تعالى:﴿وَلتَكُن مِّنكُم أُمَّة يَدعُونَ إِلَى ٱلخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلمُفلِحُونَ﴾[٣١]، وقوله عزَّ وجلَّ:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱستَجَابُواْ لِرَبِّهِم وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقنَٰهُم يُنفِقُونَ ﴾[٣٢]

وقد بيّن الشيخ أنَّ آية آل عمران:﴿وَلتَكُن مِّنكُم أُمَّة...﴾ تدلُّ دلالة صريحة على وجوب قيام جماعة من النَّاس من أهل الحل والعقد بتتبع عمل المسؤول عن أمور الأمة من الرّعاة والولاة، وأنَّ دلالة الآية على هذا المعنى أقوى من دلالة آية الشورى، وهي قوله تعالى:﴿..وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقنَٰهُم يُنفِقُونَ﴾ وذلك لأنّ آية الشورى عامّة أمّا آية آل عمران فخاصّة في قيام جماعة تتولّى مراقبة المسؤول عن أمر الأمة قال الشيخ:((اشْتُرِطَ فِي النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً ؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ لَا تُخَالَفُ وَلَا تُغْلَبُ كَمَا تَقَدَّمَ، فَهِيَ الَّتِي تُقَوِّمُ عِوَجَ الْحُكُومَةِ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْحُكُومَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَصْلِ الشُّورَى، وَهَذَا صَحِيحٌ وَالْآيَةُ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَيْهِ وَدَلَالَتُهَا أَقْوَى مِنْ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿ وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم﴾؛ لِأَنَّ هَذَا وَصْفٌ خَبَرِيٌّ لِحَالِ طَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ أَكْثَرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَمْدُوحٌ فِي نَفْسِهِ مَحْمُودٌ عِنْدَ اللهِ - تَعَالَى -، وَأَقْوَى مِنْ دَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿..وَشَاوِرهُم فِي ٱلأَمرِ..﴾، فَإِنَّ أَمْرَ الرَّئِيسِ بِالْمُشَاوَرَةِ يَقْتَضِي وُجُوبَهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضَامِنٌ يَضْمَنُ امْتِثَالَهُ لِلْأَمْرِ فَمَاذَا يَكُونُ إِذَا هُوَ تَرَكَهُ؟ وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ فَإِنَّهَا تَفْرِضُ أَنْ يَكُونَ فِي النَّاسِ جَمَاعَةٌ مُتَّحِدُونَ أَقْوِيَاءُ يَتَوَلَّوْنَ الدَّعْوَةَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ عَامٌّ فِي الْحُكَّامِ وَالْمَحْكُومِينَ..)) [٣٣]

وقد أمر الله تعالى النبيُّ- ﷺ - أن يشاور المؤمنين؛ قال تعالى ﴿..فَٱعفُ عَنهُم وَٱستَغفِر لَهُم وَشَاوِرهُم فِي ٱلأَمرِ ..﴾ [٣٤] ، فإذا كان النبيّ- صلَّى الله عليه وسلّم- وهو المعصوم والمسَدَّد بالوحي الآلهي مأمور بالشُّورى فكيف الحال بمن دونه؟

وقد أرشدنا رسول الله- ﷺ - في أحاديث كثيرة إلى مبدأ الشُّورى وحثَّنا عليها؛ منها:

- ((إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه)) [٣٥].
- واستشار- صلَّى الله عليه وسلَّم- أصحابه في الخروج إلى غزوة بدر الكبرى، فقال:((أشيروا عليَّ أيها النَّاس)) [٣٦].

- وعندما أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بفكرة حفر الخندق، استحسن النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فكرته وأمر بتنفيذها، فكانت سببًا رئيسيًا من أسباب النصر في تلك الغزوة[٣٧].

فكل هذه الأحاديث تؤكِّد حرص الرَّسول- ﷺ - على الشُّورى، وهي تطبيق عملي وواقعي لهذا المبدأ الأصيل.

المبحث الرابع: الإجتماع والعمران

لم يكن الشيخ بدعًا من العلماء في هذا الفن، إذ سبقه في ذلك ابن خلدون[٣٨](٨٠٨هـ)، في مقدمته فكان متبعًا لسنن أفاضل العلماء في ذلك، وقد خصّ ابن خلدون بالذكر وبمقدمته في تفسيره، إذ يقول:((ثمَّ اهتدى بعضهم إلى استنباط قواعد العمران وأصول الاجتماع من التاريخ فصنف ابن خلدون في ذلك مقدمة تاريخه، ولو لم تنقطع بنا سلسلة العلم من ذلك العهد لكنا أتممنا ما بدأ به سلفنا ولكنَّنا تركناه وسبقنا غيرنا إلى إتمامه واستثماره فالتاريخ هو المرشد الأكبر للأمم العزيزة اليوم إلى ما هي فيه من سعة العمران وعزة السلطان، وكان القرآن هو المرشد الأول للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم منه)) [٣٩].

وقال أيضًا:((:علم الاجتماع، ولم يذكره الأستاذ الإمام تفصيلًا ولا إجمالًا، ولعل سبب ذلك عدم وجود كتب فيه بالعربية يرغب طلاب الأزهر فيها إلّا ما في مقدمة ابن خلدون-الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليقة[٤٠]، وهو العلم الذي يبحث فيه عن أحوال الأمم في بداوتها وحضارتها وأسباب ضعفها وقوتها وتدلِّيها وترقيها على أنّ هذا العلم مستمد من علم التاريخ وعلم الأخلاق)) [٤١].

وقال في موطن آخر:((كتب ابن خلدون مقدمته في فلسفة التاريخ، وعلم الاجتماع والعمران، فكانت أفضل الكتب وأحكمها في عصر مؤلفها وبعد عصره بعدة عصور، ثم ارتقت العلوم وتغيرت أصول العمران)) [٤٢].

وقال:((وقد جاءهم النذير، ابن خلدون الشهير، فصاح فيهم إنّ لله تعالى سننًا في الأمم والدول والعمران، مطّردة في كل زمان ومكان، كما ثبت في مصحف القرآن، وصحف الأكوان)) [٤٣].

وقال أيضًا:((وقد كان أوَّل مَن دوَّن طبائع العمران وسنن الاجتماع ابن خلدون في مقدِّمة تاريخه؛ مؤمّلًا أن يعنى بها من بعده من العلماء فيأتوا بتوسيع ما بدأ به من مباحثها، ولكن العلم والحكم في دولة الإسلام، كان داخلًا في طور الانحطاط والاضمحلال، ثم ارتقى الإفرنج فيهما فترجموا تلك المقدمة بلغتهم العلمية كلها، وأخذوا منها عدة علوم في سنن العمران، ونحن نأخذها اليوم عنهم غافلين عن هداية القرآن)) [٤٤].

ومن ينظر في كلام الشيخ يلحظ الآتي:

– إنّ علم الإجتماع يُبحث فيه عن أحوال الأمم في بداوتها، وحضارتها، وأسباب ضعفها، وقوتها...

– إنّ أوّل مَن ألّف في هذا العلم من الأمّة الإسلامية هو ابن خلدون في كتاب سمّاه "المقدمة".

– أصل هذا العلم هو السنن الإلهية التي ذكرها القرآن، وأحوال الأمم المخالفة لمنهج الاستخلاف في الأرض، فهو يؤكد على المنبع الأصيل لمنهج الاستخلاف والعمران في الأرض، وهو هداية القرآن العظيم.

– إنّ علم الاجتماع والعمران يستمد قواعده من تاريخ الأمم وأحوالها.

– إنّ الأمة الإسلامية غافلة عنه، وأنّ أول من نبههم إلى ذلك ابن خلدون لكن يبدو أنّ الأمة إلى عصر الشيخ لم تكُ متفطنة إلى أهمية هذا العلم، والصحيح إلى وقتنا الحاضر.

– يُعبَّر بلفظ الإجتماع والعمران ويريد به السنن الإلهية في استخلاف الأرض التي تؤدّي إلى امتلاك زمام الخلافة على هذه البسيطة على وفق منهج إلهي ثابت لا يقبل التغيير والتبديل

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة القصيرة في تفسير المنار أسجل أبرز النتائج:

١- إن الشيخ محمَّد رشيد رضا عُني كثيرًا ببيان القواعد الأساسية للحضارة الإسلامية.

٢- إجتماع النَّاس وعدم تفرقهم مطلب إنساني وقيمة حضارية عليا، وهو من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

٣- الشورى من المعالم الدالة على رقي الأمم والمجتمعات، وهي من الأسس والقواعد التي تبني عليها الدول الحضارة والتقدم.

٤- شغل علم الإجتماع حيزًا واسعًا في تفسير المنار، وذلك أنَّ الشيخ كان مدركًا لأهميته ومكانته.

Conclusion:

After this short journey into ‘Tafsir Al-Manar’, I note the following results:

1-Sheikh Muhammad Rashid Rida was very concerned with explaining the basic principles of Islamic civilization.

2 -Bringing people together and avoiding their dispersion is a human demand and a high civilizational value, which is one of the principles of the Islamic religion.

3-Shura (consultation) is one of the landmarks that indicate the advancement of nations and societies. It is one of the foundations and rules upon which civilized and progressive countries are built.

4- Sociology occupied a wide space in ‘Tafsir Al-Manar’ because the Sheikh was aware of its importance and status.

الهوامش :

(١) ينظر: مقاييس اللغة :٧٠/١.
(٢) سورة النازعات: الآية:٤.
(٣) سورة يوسف: الآية:١٧.
(٤) سورة الأحقاف: الآية:١١.
(٥) سورة طه: الآية:١٢٩.
(٦) سورة الواقعة: الآية:١٠.
(٧) سورة آل عمران: الآية:١١٤.
(٨) سورة المؤمنون: الآية:٦١.
(٩) سورة الواقعة:الآية:٦٠.
(١٠) مفردات ألفاظ القرآن:٣٩٥.
(١١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩٥، والكليات للكفوي:٥٠٨.
(١٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية٦٣٢/٢.
(١٣) القاموس المحيط:٣٧٦.
(١٤) الحضارة الإسلامية(أحمد عبد الرَّحيم السَّايح): ص٧٠.
(١٥) الأعلام للزركلي: ١٢٦/٦.
(١٦) سورة آل عمران: الآية:١٠٣.
(١٧) سورة الأنفال: الآية:٤٦.
(١٨) سورة الأنعام: من الآية: ١٥٩.
(١٩) الجامع الصحيح(صحيح البخاري)، كتاب الديات، بَاب: مَنْ طَلَبَ دَمَ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ،٢٥٢٣/٦، رقم: ٦٤٨٨.
(٢٠) سنن أبي داود، ونصّ الحديث فيه:«لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ.» ،٤٩٤/٤، رقم: ٥١٢١.
(٢١) تفسير المنار:١٨/٤.
(٢٢) سورة آل عمران: الآية:١٠٣.
(٢٣) مسند أحمد،٣٢٣/٣٠، رقم: ١٨٣٧٢.
(٢٤) صحيح مسلم:١٩٩٩/٤، رقم: ٢٥٨٦.
(٢٥) ينظر: تفسير الجلالين:٨١.
(٢٦) سورة العصر: الآيات:١-٣.
(٢٧) سورة المائدة: الآيتان:٧٨-٧٩.
(٢٨) سورة الحج: من الآية:٤١.
(٢٩) سورة التوبة: من الآية:١٢٢.
(٣٠) تفسير المنار:٢٢/٤-٢٤.
(٣١) سورة آل عمران: الاية:١٠٤.
(٣٢) سورة الشورى: الآية:٣٢.
(٣٣) تفسير المنار: ٣٧/٤.

([٣٤]) سورة آل عمران: من الآية:١٥٩.
([٣٥]) رواه ابن ماجه ، باب: المستشار مؤتمن،١٢٣٣/٢، رقم: ٣٧٤٧، وقال عنه المحقِّق:(محمَّد فؤاد عبد الباقي):((في إسناده ابن أبي ليلى، واسمه محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبوه عبد الرَّحمن الأنصاري القاضي، وهو ضعيف)).
([٣٦]) رواه البيهقي في(دلائل النبوة)، بَابُ: ذِكْرِ سَبَبِ خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عليه وَسَلَّمَ،٣٤/٣.
([٣٧]) الكامل في التاريخ ٦٥/٢.
([٣٨]) مقاصد القرآن في الاجتماع والعمران عند محَّمد رشيد رضا في تفسير المنار(أ.م.د.شاكر محمود حسين)، بحث منشور في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية/ الجامعة الأردنية/المجلد:٤٧/ العدد:٢/ ملحق:٢/ / ٢٠٢٠م/ ص٣١٧.
([٣٩]) تفسير المنار: ٢٥٨/١.
([٤٠]) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ١٢٥/١.
([٤١]) تفسير المنار: ٣٤/٤.
([٤٢]) المصدر نفسه:٢٥٣/٥.
([٤٣]) المصدر نفسه: ٤١٧/٩.
([٤٤]) المصدر نفسه:٢٦٠/١١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١. الأعلام (خير الدين بن محمود بن محمَّد الزركلي)(ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٢. تفسير الجلالين(جلال الدين محمَّد بن أحمد المحلي)(ت: ٨٦٤هـ)، و(جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر السِّيوطي)(ت: ٩١١هـ)، دار الحديث – القاهرة، ط١ .
٣. تفسير المنار(محمَّد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني)(ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
٤. الحضارة الإسلامية(أحمد عبد الرَّحيم السَّايح)، الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة، ط١٠، العدد ٧، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.
٥. دلائل النبوة(أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي)(ت: ٤٥٨هـ)، تح: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨ م.
٦. سنن أبي داود(سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داود السجستاني)(ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق وضبط وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط ، و محمد كامل قره بللي، طبعة خاصة ، دار الرسالة العالمية ، دمشق – الجمهورية العربية السورية ، ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩م.
٧. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية (إسماعيل بن حماد الجوهري)(ت: ٣٩٣ هـ) ، تح: أحمد عبدالغفور عطا ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
٨. صحيح البخاري(محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري)،تح: محمَّد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ .

٩. صحيح مسلم(مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري) (ت: ٢٦١هـ)، تح: محمَّد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٠. القاموس المحيط(مجد الدين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي)(ت: ٨١٧هـ)،تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م.
١١. الكامل في التاريخ (أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير)(ت: ٦٣٠هـ)، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
١٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية(أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفوي)(ت: ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش - محمَّد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت
١٣. مسند أحمد(الإمام أحمد بن محمَّد بن حنبل)(ت: ٢٤١ هـ) ، تحقيق وشرح وفهارس : حمزة أحمد الزين ، أحمد محمد شاكر ، ط١ ، دار الحديث ، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م .
١٤. مفردات ألفاظ القرآن(الحسين بن محمَّد أبو القاسم الرَّاغب الأصفهاني)،تح : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ٢٠٠٩ م.
١٥. مقاصد القرآن في الاجتماع والعمران عند محمَّد رشيد رضا في تفسير المنار(أ.م.د.شاكر محمود حسين)،مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية / الجامعة الأردنية/المجلد:٤٧/ العدد:٢/ ملحق:٢/ / ٢٠٢٠م .
١٦. مقاييس اللغة (أحمد بن فارس بن أبو الحسين زكريا)(ت: ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م .
١٧. مقدِّمة ابن خلدون(ولي الدين بن عبد الرحمن بن محمَّد ابن خلدون)(ت٨٠٨هـ) تح : عبد الله محمَّد دروبش، دار الكتب العلمية- بيروت .

References

1. Al-A'lam (Khāyr al-Dīn Ibn Muḥammad Ibn Muḥammad al-Zarkashi) (d. 1396 AH), Dar al-`Ilm lil-Malayin, 15th ed., 2002 CE.
2. Tafsir al-Jalalayn (Jalal al-Din Muhammad ibn Ahmad al-Mahalli) (d. 864 AH) and (Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn Abi Bakr al-Suyuti) (d. 911 AH), Dar al-Hadith - Cairo, 1st ed.
3. Tafsir al-Manar (Muhammad Rashid bin Ali Rida al-Qalamuni al-Husayni) (d. 1354 AH), General Egyptian Book Organization, 1990 CE.
4. Islamic Civilization (Ahmad Abdulrahim Al-Sayih), Islamic University - Medina, 10th ed., Issue 7, 1397 AH = 1977 CE.
5. Dalail al-Nubuwwah (Ahmad bin al-Husayn bin Ali Abu Bakr al-Bayhaqi) (d. 458 AH), edited by Dr. Abdul-Mutti Qal'aji, Dar al-

Kutub al-Ilmiyyah, Dar al-Rayyan lil-Turath, 1st ed., 1408 AH = 1988 CE.

6. Sunan Abu Dawud (Sulayman bin al-Ash'ath al-Azdi Abu Dawud al-Sijistani) (d. 275 AH), edited and verified by Shuayb al-Arnaut and Muhammad Kamal Qaribullah, special edition, Dar al-Risalah al-Alamiyyah, Damascus - Syrian Arab Republic, 1430 AH = 2009 CE.
7. Al-Sahah Taju al-Lughah wa Sahah al-Arabiyah (Isma'il bin Hammad al-Jawhari) (d. 393 AH), edited by Ahmad Abdulghafour Ata, 2nd ed., Dar al-`Ilm lil-Malayin, Beirut - Lebanon, 1399 AH = 1979 CE.
8. Sahih al-Bukhari (Muhammad bin Isma'il Abu Abdullah al-Bukhari), verified by Muhammad Zuhair bin Nasser al-Nasr, Dar Tawq al-Naja, 1st ed., 1422 AH.
9. Sahih Muslim (Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi) with annotations by Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi, published by Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut.
10. Al-Qamus al-Muhit (Majid al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub al-Firuzabadi) with annotations by Muhammad Naim al-Arqasusi, published by Dar al-Risalah, Beirut, 8th edition, 1426 AH (2005 CE).
11. Al-Kamil fi al-Tarikh (Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Ibn al-Athir) with annotations by 'Umar 'Abd al-Salam Tadmuri, published by Dar al-Kitab al-'Arabi, Beirut, first edition, 1417 AH (1997 CE).
12. Al-Kulliyat, a dictionary of terms and linguistic differences by Ayyub ibn Musa al-Husayni Abu al-Baqa' al-Kafawi, with annotations by 'Adnan Darwish and Muhammad al-Masri, published by Dar al-Risalah, Beirut.
13. Musnad Ahmad (Imam Ahmad ibn Hanbal) with annotations and indexes by Hamza Ahmad al-Zayn and Ahmad Muhammad Shakir, published by Dar al-Hadith, Cairo, 1st edition, 1416 AH (1995 CE).

14. Mafatih al-Alfaz al-Quran (al-Husayn ibn Muhammad Abu al-Qasim al-Raghib al-Isfahani), with annotations by Safwan 'Adnan Dawudi, published by Dar al-Qalam, Dar al-Shamiyah, 2009 CE.
15. "The Objectives of the Qur'an in Society and Urban Planning according to Muhammad Rashid Rida in his Exegesis al-Manar" by Dr. Shaker Mahmoud Hussein, published in the Journal of Humanities and Social Sciences, University of Jordan, Vol. 47, No. 2, Supplement 2, 2020 CE.
16. Muqayyis al-Lughah (Ahmad ibn Fares ibn Abu al-Husayn Zakariya) with annotations and correction by Abdul Salam Muhammad Harun, published by Dar al-Fikr, Beirut, 1399 AH (1979 CE).
17. Muqaddimah Ibn Khaldun (Ibn Khaldun) with annotations by 'Abdullah Muhammad Darwish, published by Dar al-Kutub al-'Ilmiyah, Beirut.